

# الرسالة الدنية

تأليف

الإمام حجة الإسلام  
أبي حامد الغزالي

اعتق به وحققه  
أبو سهل  
نجم مؤمن صائم



# الرسالة المدنية

تأليف

الإمام حجة الإسلام

أبي حامد محمد بن

محمد الغزالي الطوسي

(المتوفى ٥٠٥هـ)

استنسخه وحققه

أبو سهل

نجاح عوض صيام

جميع الحقوق محفوظة  
١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

بطاقة فهرسة

أثناء النشر إعداد الهيئة العامة للكتاب والوثائق القومية  
إدارة الشؤون الفنية

القرطبي، محمد بن محمد بن محمد القرطبي الطوسي، ١٠٥٨ - ١١١١  
الرسالة اللدنية / تأليفه أبي حامد محمد بن محمد القرطبي الطوسي  
اعتنى به وحققه: نجاح عوض صيام  
ط١ - القاهرة، دار المقطم للنشر والتوزيع، ٢٠١٢.  
٦٤ ص، ١٧ سم.

تدقيق: ٨ ٦٠ ٤٢٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - الفلسفة الإسلامية ٢ - التصوف الإسلامي

أ - صيام، أبو سهل نجاح عوض (محقق)

ب - العنوان

١٨٩

رقم الإيداع: ٢٢٨٨٢

الترقيم الدولي: 978-977-478-060-8

دار المقطم للنشر والتوزيع

٥٠ شارع الشيخ ريعان - عابدين - القاهرة

جمهورية مصر العربية

ت: ٢٧٩٥٨٢٦٥ - ٢٧٩٤٦١٠٩ (٠٠٢٠٢)

فلكس: ٢٥٠٨٢٧٢٢ (٠٠٢٠٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أكمل الخلق أجمعين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضي الله تبارك وتعالى عن أصحابه الغر الميامين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَشْقُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْجَلِ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] أي نورا في قلوبكم، تفرقون به بين الحق والباطل، والحسن والقيح. قال ابن جُزَي: وذلك دليل على أن التقوى تنور القلب، وتشرح الصدر، وتزيد في العلم والمعرفة.

قال الألويسي في تفسير قوله تعالى في شأن الخضر عليه السلام ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]:

هو العلم الخاص الذي لا يُعلم إلا من جهته تعالى، وقال ذو النون: العلم اللدني هو الذي يحكم على الخلق بمواقع التوفيق والخذلان.

وقال الجنيد قُدّس سره: هو الإطلاع على الأسرار من غير ظن فيه ولا خلاف واقع، لكنه مكاشفات الأنوار عن مكنون المغيبات ويحصل للعبد إذا حفظ جوارحه عن جميع المخالفات وأفنى حركاته عن كل الأردات وكان شبحاً بين يدي الحق بلا غنى ولا مراد، وقيل: هو علم يُعرّف به الحق سبحانه أوليائه ما فيه صلاح عباده . وقال بعضهم: هو علم غيبي يتعلق بعالم الأفعال، وأخصّ منه الوقوف على بعض سر القدر قبل وقوع واقعه، وأخصّ من ذلك علم الأسماء والتعوت الخاصة، وأخصّ منه علم الذات. اهـ

وقال ابن عجيبة -رضي الله عنه- عند تفسير هذه الآية أيضاً:

العلم اللدني: هو الذي يفيض على القلب من غير اكتساب ولا تعلم، قال عليه الصلاة والسلام: «من عمل بما عِلِمَ أورثه الله عِلْمَ ما لم يَعْلَم» وذلك بعد تطهير القلب من النقائص والذائل، وتفرغه من العلائق والشواغل، فإذا كمل تطهير القلب، وانجذب إلى حضرة الرب، فاضت عليه العلوم اللدنية، والأسرار الربانية، منها ما تفهمها العقول وتدخل تحت دائرة القول، ومنها ما لا تفهمها العقول ولا تحيط بها القول، بل تسلم لأربابها، من غير أن يقتدي بهم في أمرها، ومنها ما تفيض عليهم في جانب علم الغيوب كمواقع القدر

وحدوث الكائنات المستقبلية، ومنها ما تفيض عليهم في علوم الشرائع وأسرار الأحكام، ومنها في أسرار الحروف وخواص الأشياء، إلى غير ذلك من علوم الله تعالى. وبالله التوفيق. أهـ.

قلت: وهذا العلم نوع من أنواع الكرامات التي أكرم الله بها عباده الصالحين من أولياء الله المتقين، وللإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى كلام نفيس في هذا المعنى ضمن كلامه عن المعجزات والكرامات - في مجموع الفتاوى - حيث قال - رضي الله عنه -:

قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات، وإن كان اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين، كالإمام أحمد بن حنبل وغيره، ويسمونها الآيات، لكن كثير من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما، فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة..

ثم قال: فما كان من الخوارق من باب العلم فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره، وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره يقطعةً ومنامًا، وتارة بأن يعلم ما لا يعلم غيره وحياً وإلهامًا، أو إنزال علم ضروري، أو فراسة صادقة؛ ويسمى كشفاً ومشاهدات ومكاشفات ومخاطبات،

فالساع مخاطبات، والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة ؛ ويسمى ذلك كله كشفًا ومكاشفة أي كُشف له عنه. اهـ.

وقد ألف الإمام أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) رحمه الله تعالى «الرسالة اللدنية» التي بين أيدينا ردًا على من أنكر العلم اللدني وادعى انحصار العلوم في العلوم الرسمية؛ تكلم فيه عن حقيقة العلم اللدني، وأسباب حصوله، كما تكلم فيه أيضًا عن شرف العلم، وأنواع العلوم وأقسامها وكيفية تحصيلها ، ومراتب النفوس في تحصيلها. وهي رسالة لطيفة الحجم عظيمة النفع، أشار إليها الإمام فخر الدين الرازي في كلامه عن العلم اللدني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عَلَمًا ۝٦٥﴾ [الكهف: ٦٥]. بقول: يفيد أن تلك العلوم حصلت عنده من عند الله من غير واسطة، والصوفية سموها العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات: العلوم اللدنية، وللشيخ أبي حامد الغزالي رسالة في إثبات العلوم اللدنية. اهـ.

ولأهمية هذه الرسالة وعظيم نفعها رأت دار المقطم إعادة نشرها ، فقامت بتخريج الآيات الكريمة من مواضعها من المصحف الشريف، والأحاديث الشريفة من مصادرها الأصلية من كتب السنة المطهرة ، وضبط ما أشكل بها من ألفاظ وشرح الغريب منها، والتعليق عليها



بما يلزم ويقتضيه المقام، كما قمت أيضا بعمل ترجمة للمؤلف -رضي الله عنه- وأرضاه. وقد اعتمدت على النسخة المطبوعة بمكتبة الجندي سنة ١٩٧٠م بعناية العلامة الشيخ محمد مصطفى أبو العلا رحمه الله تعالى.

هذا والله أسأل العون والممدد والتوفيق، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجه الله الكريم، وأن يهدي به إلى صراطه المستقيم، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

أيوسهل

نجاح عوض صيهر

عفا الله عنه

المتصورة في رجب ١٤٣١هـ

الموافق، يوتيه ٢٠١٠م

## ترجمة المؤلف

### اسمه ونسبه:

هو الإمام الفقيه الحجة المجتهد زين الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، الطوسي، الشافعي، حجة الإسلام والمسلمين، وإمام أئمة الدين، -رضي الله عنه- وأرضاه.

### مولده ونشأته:

ولد -رضي الله عنه- سنة ٤٥٠ هـ في -طوس- وكان أبوه رجلاً صالحاً عفاً القلب واليد، يغزل الصوف ويبيعه، ويختلف في أوقات فراغه إلى العلماء في حلقاتهم، والفقهاء في دروسهم، والوعاظ في مجالسهم؛ يستمع إليهم ويتطلع إلى صنيعهم في التعليم والإفادة، ويلاطفهم بما يفضل من قوته وحاجته.

وتأثر الوالد بهذه المجالس تأثراً عظيماً، جعله يضرع إلى الله أن يهب له ولداً من صلبه يجلس مجالس أولئك الفقهاء والوعاظ الذين يعلمون الناس أمور دينهم.

واستجاب الله لدعائه فرزقه ولدين،

أحدهما: أبو حامد الذي نتكلم عنه:

والآخر: أخوه أحمد، الذي اشتغل بالوعظ وسرع فيه إل درجة كبيرة.

ولما حضرت الوفاة ذلك الأب الصالح: وصى بأبي حامد وأخيه صديقاً له، متصوفاً، من أهل الخير، وقال له: إن لي لناسفاً عظيماً على ما فاتني من التعلم، وأشتهى استدراك ما فاتني في ولدي هذين، فعلمهما، ولا عليك أن ينفذ في ذلك جميع ما أخلقه لهما.

وأنفذ الصوفي وصيته، وأقبل على تعليمهما، حتى فنى المال القليل الذي تركه أبوهما، وتعذر عليه المضي في تعليمهما أو تقديم الطعام الذي يقتاتان به، ولم يجد من السبل ما يحفظ به عليهما حياتهما، إلا أن يلحقهما بمدرسة من تلك المدارس التي تقدم لطلاب العلم الغذاء والكساء.

وقد أحسن الرجل بذلك صنعاً إلى هذين اليتيمين اللذين لا عائل لهما ولا مال يعنهما على الحياة. وكان هو السبب في سعادتهما، وعلو درجاتهما.

فكان أبو حامد- صاحب الترجمة- أفقه أقرانه وإمام أهل زمانه، وفارس ميدانه، شهد له بذلك الموافق والمخالف. وكان أخوه أحمد واعظًا كبيرة القدر، صاحب كرامات وإشارات.

ولذلك كان الإمام الغزالي -رضي الله عنه- يقول وهو يذكر صنيع ذلك الرجل: طلبنا العلم لغير الله فأي أن يكون إلا الله، ومعنى ذلك أنها طلباء ليكون وسيلة للعيش يجري عليهما بسببه ما يجري على طلبية العلم، فكان أن أوصلهما إلى الغاية الحقيقة من طلب العلم، وهي معرفة الله حق معرفته.

### طلبه للعلم

قرأ الإمام الغزالي في صباه طرفاً من الفقه، ببلده، على: الإمام أحمد بن محمد الراذكاني، ثم سافر إلى جرجان فأخذ عن الإمام أبي نصر الإسماعيلي، ثم قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين، وجد واجتهد، حتى برع في المذهب، والخلاف، والجدل، والأصليين، والمنطق وقرأ الحكمة، والفلسفة وأحكم على ذلك. وفهم كلام أرباب هذه العلوم وتصدى للرد على مبطلتهم، وإبطال دعاوهم. وصنف في كل فن من هذه العلوم كتباً، أحسن تأليفها، وأجاد وضعها.

وكان -رضي الله عنه- شديد الذكاء، شديد النظر، عجيب الفطرة، مفرط الإدراك مُحْجَاجًا، وصفه شيخه إمام الحرمين: بالبحر المندق.

ولما مات إمام الحرمين: خرج الغزالي إلى المعسكر قاصدًا الوزير نظام الملك، إذ كان مجلسه يجمع أهل العلم وملازمهم، فناظر الأئمة العلماء في مجلسه وقهر الخصوم، وظهر كلامه عليهم، واعترفوا بفضله، وتلقاه صاحب التعظيم والتبجيل، وولاه تدريس مدرسته ببغداد، وأمره بالتوجه إليها.

فقدم بغداد في سنة ٤٤٨ للهجرة ودرس بالنظامية، وأعجب الخلق حسن كلامه وكمال فضله وفصاحة لسانه، ونكهة الدقيقة، وإشارات اللطيفة، وأحبوه.

فأقام على تدريس العلم ونشره بالتعليم والفتيا والتصنيف مدة، عظيم الجاه، زائد الحشمة عالي الرتبة، مسموع الكلمة، مشهور الاسم تضرب به الأمثال، وتشد إليه الرحال.

### الغزالي والبحث عن الحقيقة:

يقول الإمام الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال:

ثم إني لما فرغت من هذه العلوم، أقبلت بهمتي على طريق الصوفية، وعلمت أن طريقهم إنما تتم بعلم وعمل.

وكان حاصل عملهم: قطع عقبات النفس، والتزهر عن أخلاقها المذمومة، وصفاتها الخبيثة؛ حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى، وتجليته بذكر الله.

وكان العلم أيسر عليّ من العمل؛ فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل: قوت القلوب لأبي طالب المكي - رحمه الله - وكتب الحارث المحاسبي، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي قدس الله أرواحهم، وغير ذلك من كلام المشايخ، حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية، وحصلت ما يمكن أن يُحصل من طريقهم بالتعلم والسماع، فظهر لي أن أخص خواصهم، ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم، بل بالذوق، والحال، وتبدل الصفات.

وكم من الفرق بين أن يعلم حدُّ الصحة وحد الشبع وأسبابها وشروطها، وبين أن يكون صحيحاً وشبعان. وبين أن يعرف حد السكر وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر، وبين أن يكون سكران. بل السكران لا يعرف حد السكر وعلمه وهو سكران وما معه من علمه شيء، والصاحي يعرف حد السكر، وأركانه وما معه من السكر

شيء، والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها  
وهو فاقد الصحة.

كذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها وأسبابها وبين  
أن يكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا.

فعلمت يقينا: أنهم أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال، وأن ما  
يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته ولم يبق إلا ما لا سبيل له  
بالسمع والتعلم، بل بالذوق والسلوك..

ثم لاحظت أحوالي، فإذا أنا منغمس في العلائق، وقد أحدثت بي  
من الجوانب.

ولاحظت أعمالي -وأحسنها التدريس والتعليم- فإذا أنا فيها  
مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة، ثم تفكرت في  
نيتي في التدريس فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى، بل باعثها  
ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت، فتيقنت أنني على شفا جرف  
هار، وأني قد أشفيت على النار إن لم اشتغل بتلافي الأحوال ..

ففارقت بغداد، وقرت ما كان معي من المال، ولم أدخر إلا قدر  
الكفاف، وقوت الأطفال، ترخصاً بأن مال العراق مُرصد للمصالح،

لكونه وفقاً على المسلمين ، فلم أر في العالم ما لا يأخذه العالم لعياله ،  
أصلح منه.

ثم دخلت الشام، وأقمت به قريباً من مستين لا مشغل لي إلا  
العزلة، والخلوة، والرياضة ، والمجاهلة: اشتغلاً بتركية النفس،  
وتهذيب الأخلاق، وتصفية القلب لذكر الله تعالى، كما كنت حصلته  
من علم الصوفية، فكنت أعتكف مدة في مسجد دمشق أصعد منارة  
المسجد طول النهار، وأغلق بابها على نفسي.

ثم رحلت منها إلى بيت المقدس، أدخل كل يوم الصخرة، وأغلق  
بابها على نفسي.

ثم تحركت في داعية فريضة الحج، واستمداد من بركات مكة،  
والمدينة وزيارة رسول الله ﷺ، بعد الفراغ من زيارة الخليل، صلوات  
الله عليه. فسرت إلى الحجاز.

ثم جذبتني الهمم، ودعوات الأبطال إلى الوطن، فعاودته، بعد أن  
كنت أبعد الخلق عن الرجوع إليه.

فأثرت العزلة به أيضاً، حرصاً على الخلوة، وتصفية القلب  
للذكر .



وكانت حوادث الزمان، ومهمات العيال، وضرورات المعاش،  
تغير في وجهة المراد، وتُشَوِّش صفوة الخلوة. وكان لا يصفو لي الحال  
إلا في أوقات متفرقة. لكنني مع ذلك لا أقطع طمعي منها، فتدفعني  
عنها العوائق، وأعود إليها.

ودمت على ذلك مقدار عشر سنين.

واتكشف لي في أثناء هذه الخطوات أمور، لا يمكن إحصاؤها،  
واستقصاؤها.

والقدر الذي أذكره ليستفع به: إني علمت يقيناً إن الصوفية هم  
السالكون لطريق الله تعالى خاصة، وإن سيرتهم أحسن السير،  
وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أذكى الأخلاق.

بل لو جُمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على  
أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئاً من سيرهم، وأخلاقهم،  
ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجحدوا إليه سبيلاً، فإن جميع حركاتهم  
وسكناتهم - في ظاهرهم وباطنهم - مقتبسة من نور مشكاة النبوة،  
وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به.

وبالجملة: فماذا يقول القائلون في طريقة: طهارتها-وهي أول شروطها- تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى.

ومفتاحها- الجاري منها مجري التحريم من الصلاة- استغراق القلب بالكلية بذكر الله. وآخرها الفناء بالكلية في الله؟

وهذا آخرها بالإضافة إلى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوائها.

وهي على التحقيق- أول الطريقة، وما قبل ذلك كالدهليز للسالك إليه.

ومن أول الطريقة تبتدى المكاشفات والمشاهدات، حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائد. ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال، إلى درجات بضيق عنها نطاق النطق، فلا يحاول مُعبرٌ أن يعبر عنها، إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه.

وعلى الجملة: ينتهي الأمر إلى قرب، يكاد يتخيل منه طائفة الحلول، وطائفة الاتحاد، وطائفة الوصول. وكل ذلك خطأ.

وقد بينا وجه الخطأ فيه في كتاب «المقصد الأسنى».

## مؤلفاته:

لقد أسرى الإمام الغزالي -رضي الله عنه- المكتبة الإسلامية بالعديد من مؤلفاته المفيدة في كل علم وفن من فنون العلم والمعرفة ، التي تدل على براعته وإمامته وعلو منزلته بين العلماء العاملين وأئمة الدين المتقين ، ومن هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر :

- ١- إحياء علوم الدين .
- ٢- المنقذ من الضلال .
- ٣- الاقتصاد في الاعتقاد.
- ٤- ميزان العمل.
- ٥- بداية الهداية.
- ٦- القسطاس المستقيم.
- ٧- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة.
- ٨- تهافت الفلاسفة.
- ٩- معيار العلم.
- ١٠- المقصد الأمنى في شرح أسماء الله الحسنى.
- ١١- البسيط.

١٢-الوسيط.

١٣-الوجيز . وهي في الفقه.

١٤-المستصفى في أصول الفقه .

١٥-المنخول في أصول الفقه أيضا.

١٦-كيمياء السعادة.

١٧-جواهر القرآن.

١٨-ياقوت التأويل في تفسير التنزيل، في أربعين مجلداً -  
مخطوط-.

١٩- منهاج العبادين.

٢٠-الأربعين في أصول الدين.

٢١-مشكاة الأنوار.

٢٢-الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة.

٢٣-إلجام العوام عن علم الكلام.

نبذة من حكمه وأقواله،

للمن عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال، فاعرف  
الحق تعرف أهله.

لله التوحيد أن ترى الأمور كلها من الله.

لله من لم يكن له نصيب من علم الباطن، أخاف عليه سوء الحاقمة، وأدنى النصيب منه: التصديق وتسليمه لأهله، ومن كان فيه خصلتان لم يُفتح له من العلم بشئ: بدعة أو كبر.

لله السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه، والشقاوة أن تملكه نفسه.

لله ليس الورع في الجبهة حتى يُقَطَّب، ولا في الخدَّ حتى يُصَغَّر، ولا في الظهر حتى يُجْنَأ، ولا في الرقبة حتى تُطَاطَأ، ولا في الليل حتى يُضَم، إنما الورع في القلوب، أما من تلقاؤِ بَشَرٍ فيلقاك بعبوس، يمن عليك بعمله، فلا أكثر الله في المسلمين من مثله.

لله المستقل بنفسه بغير شيخ، كشجرة تثبت بنفسها، فإنها تجف عن قرب، وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر.

ثناء العلماء عليه؛

قال الإمام السبكي في طبقات الشافعية في ترجمته الحافلة للإمام

الغزالي:

.. أبو حامد الغزالي حجة الإسلام، ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام، جامع أشتات العلوم، والمبرز في المنقول منها والمفهوم.. جاء والناس إلى رد فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصاييح السماء، وأفقر من الجدياء إلى قطرات الماء، فلم يزل يناضل عن الدين الحنيفي بجلاد مقاله، ويحمي حوزة الدين، ولا يُلطخ بدم المعتدين حد نصاله، حتى أصبح الدين وثيق العرى، وانكشفت غياهب الشبهات..

وقال ابن التجار فيما نقله الذهبي في سير أعلام النبلاء:

أبو حامد إمام الفقهاء على الإطلاق، ورباني الأمة بالاتفاق، مجتهد أوانه، وعين أوانه.

له ووصفه شيخه إمام الحرمين: بالبحر المغلق.

له وقال تلميذه الإمام محمد بن يحيى: الغزالي هو الشافعي الثاني.

له وقال معاصره عبد الغافر الفارسي، خطيب نيسابور:

أبو حامد الغزالي، حجة الإسلام، وإمام أئمة الدين، لم تر العيون مثله، لساناً، وبياتاً، ومنطقاً، وخاطراً، وذكاء، وطبعاً... قدم نيسابور مختلفاً إلى درس إمام الحرمين، في طائفة من الشبان من طوس، وجد،

واجتهد حتى تخرج عن مدة قريبة، وبذ الأقران... وظهر اسمه في الآفاق، وارتفق بذلك أكمل الارتفاق، حتى أدت الحال به إلى أن رسم للمصير إلى بغداد، للقيام بتدريس المدرسة الميمونة النظامية بها، فصار إليها، وأعجب الكل بتدريسه، ومناظرته، وما لقي مثل نفسه، وصار بعد إمامة خراسان إمام العراق... وعلت حشمته ودرجته في بغداد، حتى كانت تغلب حشمة الأكابر والأمراء ودار الخلافة.

✽ وقال الإمام النظار أسعد الميهني (ت ٥٢٠هـ) : لا يصل إلى معرفة علم الغزالي وقضله إلا من بلغ أو كاد يبلغ الكمال في عقله.  
وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية:

كان من أذكى العالم في كل ما يتكلم فيه ، وساد في شببته، حتى أنه درس بالنظامية ببغداد وسنه أربع وثلاثون سنة، فحضر عنده رءوس العلماء، وكان ممن حضر عنده: أبو الخطاب، وابن عقيل، وهما من رءوس الحنابلة، فتعجبوا من فصاحته وإطلاعه، - قال ابن الجوزي - وكتبوا كلامه في مصنفاتهم.

### وفاته:

.. واستمر الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في رحلته إلى الشام وزيارة بيت المقدس وغيرهما، نحو عشر سنوات، وكان فيها - كما يقول

الإمام السبكي - : يحول في البلدان ويزور المشاهد، ويطوف على المساجد، ويأوي إلى القفار، ويروض نفسه ويجاهدها جهاد الأبرار، ويكلفها مشاق العبادات، بأنواع القُرب والطاعات، إلى أن صار قطب الوجود، والبركة العامة لكل موجود، والطريقة الموصلة إلى رضا الرحمن، والسبيل المنصوب إلى مركز الإيمان؛ رجع إلى بغداد، وعقد بها مجلس الوعظ، وتكلم على لسان أهل الحقيقة، وحدث بكتاب -الإحياء- ثم عاد إلى خراسان، ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة يسيرة، وكل قلبه معلق بما فتح عليه من الطريق. ثم رجع إلى طوس، واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء، وخانقاه للصوفية، ووزع أوقاته على وظائف، من ختم القرآن ومجالسة أرباب القلوب، والتدريس لطلبة العلم، وإدامة الصلاة والصيام وسائر العبادات، إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى ورضوانه، طيب الثناء، أعلى منزلة من نجم السماء، لا يكرمه إلا حاسد أو زنديق، ولا يسومه بسوء إلا حائد عن سواء الطريق، وكانت وفاته -قدس الله روحه- بطوس يوم الاثنين، رابع عشر جمادي الآخرة سنة خمس وخمسمائة، ومشهده بها يزار بمقبرة الطابران.



## مصادر الترجمة

- ١- المنقذ من الضلال (ص ٥٩-٦٥).
- ٢- المنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٦٨).
- ٣- سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٢).
- ٤- طبقات الشافعية الكبرى (٦/ ١٩١).
- ٥- البداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ١٧٣).
- ٦- وفيات الأعيان (٤/ ٤١٦).
- ٧- مرآة الجنان (٣/ ١٤٥).
- ٨- طبقات الصوفية للمناوي (٢/ ٢٩١).
- ٩- شذرات الذهب (٤/ ١٣).
- ١٠- الأعلام للزركلي (٧/ ٢٢).
- ١١- مقدمة إحياء علوم الدين للدكتور بدوي طبانة.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي زين قلوب خواص عباده بنور الولاية، وربي  
أرواحهم بحسن العناية، وفتح باب التوحيد على العلماء العارفين  
بمفتاح الدراية، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد سيد المرسلين  
صاحب الدعوة والرعاية، ودليل الأمة إلى الهداية، وعلى آله سُكَّان  
حرم الحماية. اعلم أن واحداً من أصدقائي حكى عن بعض العلماء أنه  
أنكر العلم الغيبي اللدني الذي يعتمد عليه خواص المتصوفة، ويتّمي  
إليه أهل الطريقة، ويقولون: إن العلم اللدني أقوى وأحكم من  
العلوم المكتسبة المحصّلة بالتعلم، وحكي أن ذلك المدعي يقول: بأني  
لا أقدر على تصوير علم الصوفية ولا أظن أن أحداً في العالم يتكلم في  
العلم الحقيقي من فكر وروية دون تعلم وكسب، فقلت: كأنه ما  
اطلع على طرق التحصيل، وما درى أمر النفس الإنسانية وصفاتها  
وكيفية قبولها لأثار الغيب وعلم الملكوت، فقال صديقي:

نعم إن ذلك الرجل يقول بأن العلم هو الفقه وتفسير القرآن والكلام حسب، وليس وراءها علم وهذه العلوم لا تتحصل إلا بالتعلم والتفقه، فقلت: نعم، فكيف يعلم علم التفسير؟ فإن القرآن هو البحر المحيط المشتمل على جميع الأشياء، وليس جميع معانيه وحقائق تفسيره مذكورة في هذه التصنيفات المشهورة بين العوام، بل التفسير غير ما يعلم ذلك المدعي، فقال ذلك الرجل: لا يعدّ التفسير إلا التفسير المعروفة المذكورة والمنسوبة إلى القشيري والعلبي والماوردي وغيرهم، فقلت: لقد بُعد عن منهج الحقيقة، فإن السلمي جمع شيئا في التفسير من كلمات المحققين شبه التحقيق، وتلك الكلمات غير مذكورة في سائر التفسير. وذلك الرجل الذي لا يعد العلم إلا الفقه والكلام. وهذا التفسير العامي كأنه ما علم أقسام العلوم وتفصيلها ومراتبها وحقائقها وظواهرها وبواطنها، وقد جرت العادة بأن الجاهل بالشيء ينكر ذلك الشيء، وذلك المدعي ما ذاق شراب الحقيقة وما اطلع على العلم اللدني فكيف يقر بذلك، ولا أَرْضَى بِإِقْرَارِهِ تَقْلِيدًا أَوْ تَحْمِينًا مَا لَمْ يَعْرِفْ، فقال ذلك الصديق: أريد أن تذكر طرفا من مراتب العلوم وتصحيح هذا العلم وتعزيزه أنت لنفسك وتقرّ على إثباته، فقلت: إن هذا المطلوب بيانه عسير جدا،

لكن أشرع في مقدماته بحسب اقتضاء حالي وموافقة وقتي وما منح  
بخاطري، ولا أريد تطويل الكلام فإن خير الكلام ما قل ودلّ،  
وسألت الله عزّ وجلّ التوفيق والإعانة وذكرت مطلوب صديقي  
الفاضل في هذا المفضول.



## فصل في بيان شرف العلم

اعلم أن العلم تصور النفس الناطقة المطمئنة حقائق الأشياء وصورها المجردة عن المواد بأعيانها وكيفياتها وكمياتها وجواهرها وذواتها إن كانت مفردة ، والعالم هو المحيط المدرك المتصور والمعلوم هو ذات الشيء الذي يتشعشع علمه في النفس، وشرف العلم على قدر شرف معلومه، ورتبة العالم تكون بحسب رتبة العلم. ولا شك أن أفضل المعلومات وأعلاها وأشرفها وأجلها هو الله الصانع المبدع الحق الواحد، فعلمه وهو علم التوحيد أفضل العلوم وأجلها وأكملها، وهذا العلم ضروري واجب تحصيله على جميع العقلاء كما قال صاحب الشرع عليه الصلاة والسلام «طلب العلم فريضة على كل مسلم»<sup>(١)</sup> وأمر بالسفر في طلب هذا العلم فقال ﷺ: «أطلبوا

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٢٤)، وأبو يعلى (٢٩٠٣)، والطبراني في الأوسط (٣٤٦٢)، والبيهقي في الشعب (١٦٦٥) عن أنس رضي الله عنه -، ولفظه عند ابن ماجه: «طلب العلم فريضة على كل مسلم». ووضح العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجواهر واللؤلؤ واللعب، قال المناوي في فيض القدير (٢٦٧/٤): قال النووي: ضعيف وإن كان معناه صحيحاً، وقال ابن القطان لا يصح فيه شيء وأحسن ما فيه ضعيف وسكت عنه مغلطاي، وقال المصنف، أي الإمام السيوطي: جمعت له =

العلم ولو بالصين»<sup>(١)</sup> وعالم هذا العلم أفضل العلماء وبهذا السبب خصهم الله تعالى بالذكر في أجل المراتب فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، فعلماء علم التوحيد بالإطلاق هم الأنبياء وبعدهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وهذا العلم وأن كان شريفاً في ذاته كاملاً في نفسه لا ينفي سائر العلوم بل لا يحصل إلا بمقدمات كثيرة وتلك المقدمات لا تتظم إلا من علوم شتى مثل علم السموات والأفلاك وعلم جميع المصنوعات ويتولد عن علم التوحيد علوم آخر كما سنذكر أقسامها في مواضعها.

فاعلم أن العلم شريف بذاته من غير نظر إلى جهة المعلوم، حتى أن علم السحر شريف بذاته وإن كان باطلاً، وذلك أن العلم ضد الجهل والجهل من لوازم الظلمة والظلمة من حيز السكون، والسكون قريب من العدم، ويقع الباطل والضلالة في هذا القسم،

---

«خمين طريقاً وحكمت بصرته لغيره، ولم أصبح حديثاً لم أسبق لتصحيحه سواء، وقال السخاوي: له شاهد عند أبي شاهين بسند رجاله ثقات عن أنس، ورواه عنه نحو عشرين تابعياً».

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٣٠)، وابن عدي في الكامل (٤/ ١١٨) والبيهقي في الشعب (١٦٦٣) عن أنس -رضي الله عنه-، وقال البيهقي: هذا الحديث شبه مشهور وإسناده ضعيف وقد روى من أوجه كلها ضعيفة.

فإذا الجهل حكمه حكم العدم، والعلم حكمه حكم الوجود، والوجود خير من العدم، والهداية والحق والحركة والنور كلها في سلك الوجود، فإذا كان الوجود أعلى من العدم فالعلم أشرف من الجهل، فإن الجهل مثل العمى والظلمة، والعلم مثل البصر والنور، وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور.

وصرح سبحانه بهذه الإشارات فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩)، فإذا كان العلم خيراً من الجهل والجهل من لوازم الجسم والعلم من صفات النفس فالنفس أشرف من الجسم، وللعلم أقسام كثيرة نحصيلها في فصل آخر. وللعالم في طلب العلم طرق عديدة نذكرها في فصل آخر.

والآن لا يتعين عليك بعد معرفة فضل العلم إلا معرفة النفس التي هي لوح العلوم ومقرها وعملها، وذلك أن الجسم ليس بمحل للعلم لأن الأجسام متناهية ولا تسع كثرة العلوم بل لا يحتمل إلا النقوش والرقوم<sup>(١)</sup>، والنفس قابلة لجميع العلوم من غير ممانعة ولا مزاحمة وملال وزول، ونحن نتكلم في شرح النفس على سبيل الاختصار.

(١) جمع رقم: وهو الكتابة قال تعالى: ﴿يَكْتُمُونَ﴾ (النحل: ١٠)

## فصل في شرح النفس والروح الإنساني

اعلم أن الله تعالى خلق الإنسان من شيئين مختلفين، أحدهما: الجسم المظلم الكثيف الداخل تحت الكون والفساد المركب المؤلف الترابي الذي لا يتم أمره إلا بغيره، والآخر: هو النفس الجوهري المفرد المنير المذرك الفاعل المخريك المنتم للآلات والأجسام، والله تعالى ركب الجسد من أجزاء الغذاء ورباه بأجزاء الرماد، ومهد قاعدته وسوى أركانه، وعين أطرافه، وأظهر جوهر النفس من أمره الواحد الكامل المكمل المفيد، ولا أعني بالنفس القوة الطالبة للغذاء ولا القوة المحركة للشهوة والغضب، ولا القوة الساكنة في القلب المولدة للحياة والمبرزة للحس والحركة من القلب إلى جميع الأعضاء، فإن هذه القوة تسمى روحا حيوانيا والحس والحركة والشهوة والغضب من جنده، وتلك القوة الطالبة للغذاء الساكنة في الكبد بالتصرف، يقال لها روحا طبيعيا، والهضم والدفع من صفاتها، والقوة المصورة والمولدة والنامية وباقي القوة المنطبعة كلها خدام للجسد، والجسد خدام الروح الحيواني لأنه يقبل القوى عنه، ويعمل بحسب تحريكه، وإنما أعني بالنفس، ذلك الجوهر الكامل الفرد الذي ليس



من شأنه إلا التذكر والتحفظ والتفكر والتمييز والرؤية، ويقبل جميع العلوم، ولا يعمل من قبول الصور المجردة المعرأة عن المواد، وهذا الجوهر رئيس الأرواح وأمير القوى، والكل يخدمونه ويمثلون أمره، وللنفس أعني هذا الجوهر عند كل قول اسم خاص، فالحكماء يسمون هذا الجوهر: النفس الناطقة، والقرآن يسميه: النفس المطمئنة والروح الأمري، والمتصوفة تسميه القلب، والخلاف في الأسماء والمعنى واحد لا خلاف فيه، فالقلب والروح عندنا والمطمئنة كلها أسامي النفس الناطقة، والنفس الناطقة هي الجوهر الحي الفعال للدرك، وحيثما نقول الروح المطلق، أو القلب، فإنما نعني به هذا الجوهر. والمتصوفة يسمون الروح الحيواني نفساً، والشرع ورد بذلك فقال: «أعدي علك نفسك»<sup>(١)</sup>، وأطلق الشارع اسم النفس، بل أكدها بالإضافة فقال: «نفسك التي بين جنبيك»، وإنما أشار بهذه اللفظة إلى القوة الشهوانية والغضبية فإنها ينبعثان عن القلب الواقف بين الجنين، فإذا عرفت فرق الأسماء، فاعلم أن الباحثين يعبرون عن هذا الجوهر النفيس بعبارات مختلفة، ويرون فيها آراء متفاوته.

(١) أخرجه البيهقي في الزهد (٢٤٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الرضاعين.

والتكلمون المعروفون بعلم الجدل يعدون النفس جسماً، ويقولون: إنه جسم لطيف، بإزاء هذا الجسم الكثيف، ولا يرون الفرق بين الروح والجسد إلا باللطافة والكثافة، وبعضهم يعد الروح عرضاً، وبعض الأطباء يميل إلى هذا القول، وبعضهم يرى الدم روحاً وكلهم قنعوا بقصور نظرهم على تخيلهم وما طلبوا.

القسم الثالث؛ واعلم أن الأقسام ثلاثة: الجسم والعرض والجوهر الفرد، فالروح الحيواني جسم لطيف كأنه سراج مشعل موضوع في زجاجة القلب، أعني ذلك الشكل الصنوبري المعلق في الصدر والحياة ضوء السراج، والدم دهنه، والحس والحركة نوره، والشهوة حرارته، والغضب دخانه، والقوة الطالبة للغذاء الكائنة في الكبد خادمه وحارسه ووكيله؛ وهذا الروح يوجد عند جميع الحيوانات، والإنسان هو جسمه وآثاره أعراض، وهذا الروح لا يهتدي إلى العلم ولا يعرف طريق المصنوع ولا حق الصانع، وإنما هو خادم أسير يموت بموت البدن، لو يزيد الدم ينطفئ ذلك السراج بزيادة الحرارة، ولو ينقص ينطفئ بزيادة البرودة وانطفأؤه سبب موت البدن، وليس خطاب الباري سبحانه ولا تكليف الشارع لهذا الروح لأن البهائم وسائر الحيوانات غير مكلفين ولا مخاطبين بأحكام الشرع، والإنسان إنما يكلف ويخاطب لأجل معنى آخر وجد عنده

زائدا خاصا به، وذلك المعنى هو النفس الناطقة والروح المطمئنة، وهذا الروح ليس بجسم ولا عرض لأنه من أمر الله تعالى كما قال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] وقال: ﴿يَكَلِّمُنَا أَلْفُفْسُ الْمَطْمِئِنَّةِ

﴿٧﴾ أَرْجِيهِ إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مُخْبِتَةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر: ٢٨، ٢٧].

وأمر البارئ تعالى ليس بجسم ولا عرض، بل قوة إلهية مثل العقل الأول واللوح والقلم، وهي الجواهر المفردة المفارقة للمواد، بل هي أضواء مجردة معقولة غير محسوسة، والروح والقلب بلساننا من قِبَل تلك الجواهر، ولا يقبل الفساد ولا يضمحل ولا يفنى ولا يموت، بل يفارق البدن ويتنظر العود إليه في يوم القيامة كما ورد في الشرع وقد صَحَّ في العلوم الحكمية بالبراهين القاطعة، والدلائل الواضحة أن الروح الناطق ليس بجسم ولا عرض، بل هو جوهر ثابت دائم غير فاسد، ونحن نستغني عن تكرير البرهان وتعليل الدلائل لأنها مقررة مذكورة. فمن أراد تصحيحها فليرجع إلى الكتب اللاتمة بذلك الفن. فأما في طريقنا فلا نأتي بالبرهان، بل نعول على العيان ونعتمد على رؤية الإيمان، ولما أضاف الله تعالى الروح إلى أمره وتارة إلى عزته، فقال: ﴿وَنَقَّحْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، وقال:

﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقال: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ [التحریم: ١٢]. والله تعالى أجل من أن يضيف إلى نفسه جسماً أو عَرَضاً لحسنتها وتغيرهما وسرعة زوالهما وفسادهما، والشارع ﷺ قال: «الأرواح جنود مجنّدة»<sup>(١)</sup>، وقال: «أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر»<sup>(٢)</sup>، والعرض لا يبقى بعد فناء الجوهر لأنه لا يقوم بذاته، والجسم يقبل التحليل، كما قبل التركيب من المادة والصورة كما هو مذكور في الكتب، فلما وجدنا هذه الآيات والأخبار والبراهين العقلية علمنا أن الروح جوهر فرد كامل، حي بذاته يتولد منه صلاح الدين وفساده، والروح الطيعي والحيواني وجميع القوى البدنية كلها من جنوده، وأن هذا الجوهر يقبل صور المعلومات وحقائق الموجودات من غير اشتغال بأعيانها وأشخاصها، فإن النفس قادرة على أن تعلم حقيقة الإنسانية من غير أن ترى إنساناً كما أنها علمت الملائكة والشياطين، وما احتاجت إلى رؤية أشخاصها إذ لا ينالها حواس أكثر الناس،

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٨) عن عائشة رضي الله عنها، ومسلم (٢٦٣٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٨٧) عن ابن مسعود موقوفاً بألفاظ متقاربة والترمذي (١٦٤١) عن كعب بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمرة الجنة أو شجر الجنة» قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقال قوم من المتصوفة: إن للقلب عينا كما للجسد، فيرى الظواهر بالعين الظاهرة، ويرى الحقائق بعين العقل، وقال رسول الله ﷺ: «ما من عبد إلا ولقلبه عينان»<sup>(١)</sup>، وهما عينان يدرك بهما الغيب، فإذا أراد الله تعالى بعبد خيرا فتح عيني قلبه ليرى ما هو غائب عن بصره، وهذا الروح لا يموت بموت البدن لأن الله تعالى يدعوه إلى بابه فيقول:

﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً﴾ [الفجر: ٢٨]. وإنما هو يفارق ويعرض عن البدن، فمن أعراضه: تتعطل أحوال القوى الحيوانية والطبيعية فيسكن المتحرك فيقال لذلك السكون: موت؛ وأهل الطريقة - أعني الصوفية - يعتمدون على الروح والقلب أكثر اعتمادا منهم على الشخص. وإذا كان الروح من أمر الباري تعالى فيكون في البدن كالغريب، ويكون وجهه إلى أصله ومرجعه. فينال الفوائد من جانب الأصل أكثر مما ينال من جهة الشخص إذا قَوِيَ ولم يُدْنَسْ بأدناس

(١) لم أجده حديثاً عن النبي ﷺ؛ وإنما رواه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٢١٢) وابن عساكر (١٦/ ٢٠٠) عن خالد بن معدان، ونماه: ما من عبد إلا وله أربع أعين: عينان في وجهه يبصر بها أمر الدنيا، وعينان في قلبه يبصر بها أمر الآخرة، فإذا أراد الله بعبد خيرا فتح عيني اللتين في قلبه فيبصر بها ما وعد بالغيب، قال: وهما غيب فأمّن الغيب بالغيب، وإذا أراد الله بعبد غير ذلك تركه على ما هو عليه ثم قرأ ﴿أَنْزِ

الطبيعة. وإذا علمت أن الروح جوهر فرد وعلمت أن الجسد لا بد له من المكان.

والعرض لا يبقى إلا بالجوهر. فاعلم أن هذا الجوهر لا يحل في محل ولا يسكن في مكان، وليس البدن مكان الروح ولا محل القلب، بل البدن آلة الروح وأداة القلب ومركب النفس. والروح ذاته غير متصل بأجزاء البدن ولا متفصل عنه، بل هو مقبل على البدن مفيد له مفيض عليه، وأول ما يظهر نوره على الدماغ لأن الدماغ مظهره الخاص اتّخذ من مقدمه حارسا. ومن وسطه وزيراً، ومديرأ، ومن آخره خزانة وخازنا، ومن جميع الأجزاء رجالاً وركبأنا، ومن الروح الحيواني خادماً، ومن الطبيعي وكيلأ، ومن البدن مركبأ، ومن الدنيا ميدانأ، ومن الحياة بضاعةً ومالأ، ومن الحركة تجارة، ومن العلم ربحأ، ومن الآخرة مقصداً ومرجعأ، ومن الشرع طريقة ومنهجأ، ومن النفس الأمانة حارسا ونقيأ، ومن اللوامة منبها، ومن الحواس جواسيس وأهوانأ، ومن الدين درعأ، ومن العقل أستاذأ، ومن الحسن تلميذأ، والربّ سبحانه من وراء هذه كلها بالمرصاد؛ والنفس بهذه الصفة مع هذه الآلة ما أقبلت على هذا الشخص الكثيف وما اتّصلت بذاته بل تتيله الإفادة، ووجهها إلى بارئها وأمر بارئها بالاستفادة إلى أجل مسمى، فالروح لا يشتغل في ملة هذا السفر إلا بطلب العلم،

لأن العلم يكون حليته في دار الآخرة، لأن حلية المال والبنين زينة حياة الدنيا، فكما أن العين مشغولة برؤية المنظورات، والسمع مواظب على استماع الأصوات، واللسان مستعد لتركيب الأقوال، والروح الحيواني مريد للذات الغضبية، والروح الطبيعي محب للذات الأكل والشرب، كذلك الروح المطمئنة. أعني القلب. لا يريد إلا العلم ولا يرضى إلا به ويتعلم طول عمره. ويتحلى بالعلم جميع أيامه إلى وقت مفارقتة، ولو قبل أمراً آخر دون العلم فلأنما يقبل عليه لمصلحة البدن لا لمراد ذاته وعجبه أصله. فإذا علمت أحوال الروح ودوام بقائه وعشقه للعلم وشغفه به، فيجب عليك أن تعلم أصناف العلم فلأنها كثيرة ونحن نحصيها بالاختصار.



## فصل في أصناف العلم وأقسامه

اعلم أن العلم على قسمين: أحدهما شرعي، والآخر عقلي. وأكثر العلوم الشرعية عقلية عند عالمها. وأكثر العلوم العقلية شرعية عند عارفها ﴿وَمَنْ لَّا يَحْمِلِ آثَمَهُ لَثُورًا قَدْ لَئِمْنَا مِنْ ثَوْرٍ﴾ (التور: ٤٠).

أما القسم الأول: وهو العلم الشرعي، فينقسم إلى نوعين:

أحدهما: في الأصول وهو علم التوحيد.

وهذا العلم ينظر في ذات الله تعالى وصفاته القديمة، وصفاته الفعلية، وصفاته الذاتية المتعددة بالأسامي على الوجه المذكور، وينظر أيضا في أحوال الأنبياء والأئمة من بعدهم والصحابة. وينظر في أحوال الموت والحياة، وفي أحوال القيامة والبعث والحشر والحساب، ورؤية الله تعالى وأهل النظر في هذا العلم يتمسكون أولا بآيات الله تعالى من القرآن، ثم بأخبار الرسول ﷺ، ثم بالدلائل العقلية والبراهين القياسية، وأخذوا مقدمات القياس الجدلي والعنادي؟ ولواحقهما من أصحاب المنطق الفلسفي، ووضعوا أكثر الألفاظ في غير مواضعها، ويعبرون في عباراتهم بالجواهر، والعرض، والدليل،



والنظر، والاستدلال، والحجة، ويختلف معنى كل لفظ من هذه الألفاظ عند كل قوم حتى إن الحكماء يعنون بالجوهر شيئاً، والصفوية يعنون شيئاً آخر، والمتكلمون شيئاً، وعلى هذا المثال، وليس المراد في هذه الرسالة تحقيق معاني الألفاظ على حسب آراء القوم، فلا نشرع فيها. وهؤلاء القوم مخصوصون بالكلام في الأصول وعلم التوحيد ولقبهم: المتكلمون، فإن اسم الكلام اشتهر على علم التوحيد.

ومن علم الأصول علم التفسير: فإن القرآن من أعظم الأشياء وأبينها وأجلها وأعزها. وفيه من المشكلات الكثيرة ما لا يحيط بها كل عقل إلا من أعطاه الله تعالى فهماً في كتابه. قال رسول الله ﷺ «ما من آية من آيات القرآن إلا ولها ظهر وبطن، ولبطنه بطن إلى سبعة أبطن»<sup>(١)</sup>، وفي رواية إلى تسعة. وقال ﷺ: «لكل حرف من حروف القرآن حدّ ولكل حدّ مطلع»<sup>(٢)</sup>، والله تعالى أخبر في القرآن عن جميع العلوم وجلي الموجودات خفيها وصغيرها وكبيرها ومحسوسها

(١) أخرجه أبو يعلى (٥٤٠٣)، والطبراني في الكبير (١٠٥/١٠٥)، رقم (١٠١٠٧) وابن حبان (٧٥) عن ابن مسعود -رضي الله عنه- ولفظه: «أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن».

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٦/٩)، رقم (٨٦٦٨) عن ابن مسعود -رضي الله عنه-، مرفوعاً.

ومعقولها. وإلى هذه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْبِخُوا لَأْيُمْسِكُمْ بِإِيمَانٍ﴾ [٢٩:٥٩]. وقال تعالى: ﴿لِيَذَّبَ بَعْضُهُمْ أَسْوَءَ بَعْضِهِمْ وَلِيُنْذِرَ أُولَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ [٢٩:٦٠]. وإذا كان أمر القرآن أعظم الأمور فأي مفسر أدى حقه، وأي عالم خرج عن عهده، نعم كل واحد من المفسرين شرع في شرحه بمقدار طاقته، وخاض في بيانه بحسب قوة عقله، وقدر كونه علمه، فكلهم قالوا، وبالحقيقة ما قالوا، وعلم القرآن يدل على علم الأصول والفروع والشرعي والعقلي.

ويجب على المفسر أن ينظر في القرآن من وجه اللغة، ومن وجه الاستعارة، ومن وجه تركيب اللفظ، ومن وجه مراتب النحو، ومن وجه عادة العرب، ومن وجه أمور الحكماء، ومن وجه كلام المتصوفة حتى يقرب تفسيره إلى التحقيق، ولو يقتصر على وجه واحد ويقنع في البيان بفن واحد لم يخرج عن عهدة البيان، ويتوجه عليه حجة الإيمان وإقامة البرهان.

ومن علم الأصول أيضا علم الأخبار: فإن النبي ﷺ أفصح العرب والعجم، وكان معلما يوحى إليه من قبل الله تعالى، وكان عقله محيطا بجميع العلويات والسفليات، فكل كلمة من كلماته بل لفظة من ألفاظه يوجد تحتها بحار الأسرار وكنوز الرموز، فعلم أخباره

ومعرفة أحاديثه أمر عظيم، وخطب جليل. لا يقدر أحد أن يحيط بعلم الكلام النبوي إلا أن يهذب نفسه بمتابعة الشارع، ويزيل الاعوجاج عن قلبه بتقويم شرع النبي ﷺ.

ومن أراد أن يتكلم في تفسير القرآن وتأويل الأخبار ويصيب في كلامه. فيجب عليه أولاً تحصيل علم اللغة والتبحر في فن النحو، والرسوخ في ميدان الإعراب، والتصرف في أصناف التصريف، فإن علم اللغة سُلّم ومراقبة إلى جميع العلوم، ومن لم يعلم اللغة فلا سبيل له إلى تحصيل العلوم. فإن من أراد أن يصعد سطوحاً: عليه تمهيد المراقبة أولاً ثم بعد ذلك يصعد، وعلم اللغة وسيلة عظيمة، ومراقبة كبيرة، فلا يستغني طالب العلم عن أحكام اللغة، فعلم اللغة أصل الأصول، وأول علم اللغة معرفة الأدوات، وهي بمتزلة الكلمات المفردة، ويعلها معرفة الأفعال مثل الثلاثي والرباعي وغيرهما، ويجب على اللغوي أن ينظر في أشعار العرب. وأولها وأتقنها أشعار الجاهلية. فإن فيها تنقيحاً للمخاطر وترويحاً للنفس؛ ومع ذلك الشعر والأدوات والأسامي يجب تحصيل علم النحو، فإنه لعلم اللغة بمتزلة ميزان القبان للذهب والفضة. والمنطق لعلم الحكمة والعروض للشعر، والذراع للأثواب، والمكيال للحبوب، وكل شيء لا يوزن

بميزان لا يتبين فيه حقيقة الزيادة والنقصان. فعلم اللغة سبيل إلى علم التفسير والأخبار، وعلم القرآن والأخبار دليل على علم التوحيد، وعلم التوحيد هو الذي لا تنجو نفوس العباد إلا به ولا تتخلص من خوف المعاد إلا به، فهذا تفصيل علم الأصول.



## النوع الثاني من العلم الشرعي هو علم الفروع

وذلك أن العلم إما أن يكون علمياً، وإما أن يكون عملياً، وعلم الأصول هو العلمي، وعلم الفروع هو العملي، وهذا العلم العملي يشتمل على ثلاثة حقوق:

أولها: حق الله تعالى: وهو أركان العبادات، مثل الطهارة، والصلاة، والزكاة، والحج، والجهاد، والأذكار، والأعياد، والجمعة، وزواتها من النوافل والفرائض.

وثانيها: حق العباد: وهو أبواب العادات ويجري في وجهين: أحدهما: المعاملة مثل البيع، والشركة، والهبة، والقرض والدَّين، والقصاص، وجميع أبواب الديات.

والوجه الثاني: المعاقبة مثل النكاح، والطلاق، والعتق، والرق، والفرائض، ولواحقها، ويطلق اسم الفقه على هذين الحقلين. وعلم الفقه علم شريف مفيد عام ضروري لا يستغني الناس عنه لعموم الضرورة إليه.

وثالثها: حق النفس، وهو علم الأخلاق، والأخلاق إما مذمومة ويجب رفضها وقطعها، وإما محمودة ويجب تحصيلها وتحلية النفوس بها، والأخلاق المذمومة والأوصاف المحمودة مشهورة في كتاب الله تعالى، وأخبار الرسول ﷺ من تخلق بواحد منها دخل الجنة.

وأما القسم الثاني: من العلم فهو العلم العقلي:

وهو علم معضل مُشكل يقع فيه خطأ وصواب. وهو موضوع في ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: وهو أول المراتب العلم الرياضي والمنطقي. أما الرياضي: فمنه الحساب وينظر في العدد، والهندسة وهي علم المقادير والأشكال، والهيئة أعني علم الأفلاك والنجوم وأقاليم الأرض، وما يتصل بها، ويتفرع عنه: علم النجوم وأحكام المواليذ والطوالع، ومنه علم الموسيقى الناظر في نسب الأوتار، وأما المنطقي: فينظر في طريق الحدّ والرسم في الأشياء التي تُدرك بالتصور، وينظر من طريق القياس والبرهان في العلوم التي تنال بالتصديق، ويدور علم المنطق على هذه القاعدة يبتدئ بالمفردات ثم بالمركبات، ثم بالقضايا، ثم بالقياس، ثم بأقسام القياس، ثم مطلب البرهان وهو نهاية علم المنطق.

المرتبة الثانية: وهو أوسطها العلم الطبيعي، وصاحبه ينظر في الجسم المطلق، وأركان العالم وفي الجواهر والأعراض، وفي الحركة والسكون، وفي أحوال السماوات والأشياء الفعلية والانفعالية، ويتولد من هذا العلم النظر في أحوال مراتب الموجودات، وأقسام النفوس والأمزجة، وكمية الخواص، وكيفية إدراكها لمحسوساتها، ثم يؤدي إلى النظر في علم الطب، وهو علم الأبدان والعلل والأدوية والمعالجات وما يتعلق بها، ومن فروعه علم الآثار العاوية، وعام المعادن، ومعرفة خواص الأشياء، وينتهي إلى علم صنعة الكيمياء وهي معالجة الأجساد المريضة في أجواف المعادن.

المرتبة الثالثة: وهي العليا، هي النظر في الموجود، ثم تقسيمه إلى الواجب والممكن، ثم النظر في الصانع وذاته وجميع صفاته وأفعاله وأمره وحكمه وقضائه وترتب ظهور الموجودات عنه، ثم النظر في العلويات والجواهر المفردة والعقول المفارقة والنفوس الكاملة، ثم النظر في أحوال الملائكة والشياطين، وينتهي إلى علم النبوات وأمر المعجزات وأحوال الكرامات، والنظر في أحوال النفوس المقدسة، وحال النوم واليقظة ومقامات الرؤيا، ومن فروعه علم الطلسمات

والنيرنجات<sup>(١)</sup> وما يتعلّق بها، ولهذه العلوم تفاصيل وأعراض ومراتب، تحتاج إلى شرح جلي يبرهان يبي ولكن الاقتصار أولى.




---

(١) النيرنجات: اسم علم وهو فارسي معرب يبحث في غرائب خواص الامتزاجات أو التخيّلات والأخذ بالعيون ولنا قيل: إنها قرية أو متحلة من الشعلة التي عرفها بالحركات السريعة التي تترتب عليها الأعمال العجيبة بحيث يخفي على الحس الفرق بين الشيء وشبهه فيحكم الراي له بخلاف الواقع، وهو فرع من فروع علم السحر، وتعلمه حرام.



## فصل في علم الصوفية

اعلم أن العلم العقلي مفرد بذاته ويتولد منه علم مركب يوجد فيه جميع أحوال العلمين المفردين، وذلك العلم المركب علم الصوفية، وطريقة أحوالهم، فإن لهم علمًا خاصًا بطريقة واضحة مجموعة من العلمين.

وعلمهم يشتمل على: الحال، والوقت، والسماع، والوجد والشوق، والسكر والصحو، والإثبات، والمحو، والفقر، والفناء، والولاية، والإرادة، والشيخ، والمريد، وما يتعلق بأحوالهم مع الزوائد والأوصاف والمقامات. ونحن نتكلم في هذه العلوم الثلاثة في كتاب خاص إن شاء الله تعالى.

والآن ليس قصدنا إلا تعديد العلوم وأصنافها في هذه الرسالة، وقد اختصرناها وعددناها على طريق الاختصار والإيجاز، ومن أراد الزيادة وشرح هذه العلوم فليرجع إلى مطالعة الكتب. ولما انتهى الكلام في بيان تعديد أصناف العلوم، فاعلم أنت يقيناً أن كل فن من هذه الفنون، وكل علم من هذه العلوم، يستدعي عدة شرائط ليستقش في نفوس الطالبين، فبعد تعديد العلوم يجب عليك أن تعرف طرق التحصيل، فإن لتحصيل العلم طرقاً معينة نحن نفصلها إن شاء الله.

## فصل في بيان التحصيل للعلوم

اعلم أن العلم الإنساني يحصل من طريقين:

أحدهما: التعلم الإنساني، والثاني: التعلم الرباني.

أما الطريق الأول: فطريق معهود، ومسلك محسوس، يقربه جميع العقلاء، وأما التعلم الرباني فيكون على وجهين، أحدهما: من خارج وهو التحصيل بالتعلم، والآخر: من داخل وهو الاشتغال بالتفكير، والتفكير من الباطن بمرتلة التعلم في الظاهر، فإن التعلم استفادة الشخص من الشخص الجزئي، والتفكير استفادة النفس من النفس الكلي. والنفس الكلي أشد تأثيراً وأقوى تعلماً من جميع العلماء والعقلاء، والعلوم مركوزة في أصل النفوس بالقوة كالبنذر في الأرض، والجوهر في قعر البحر، أو في قلب المعدن، والتعلم هو طلب خروج ذلك الشيء من القوة إلى الفعل. والتعليم هو إخراجه من القوة إلى الفعل، فنفس المتعلم تشبه بنفس المعلم وتقرب إليه بالنسبة، فالعالم بالإفادة كالزراع، والمتعلم بالاستفادة كالأرض. والعلم الذي هو بالقوة كالبنذر، والذي بالفعل كالنبات. فإذا كملت

نفس المتعلم تكون كالشجرة المثمرة أو كالجوهر الخارج من قعر البحر، وإذا غلبت القوى البدنية على النفس يحتاج المتعلم إلى زيادة التعلم وطول المدة، وتحمل المشقة والتعب وطلب الفائدة، وإذا غلب نور العقل على أوصاف الحس يستغني الطالب بقليل التفكير عن كثرة التعلم، فإن نفس القابل تجد من الفوائد بتفكير ساعة ما لا تجد نفس الجامد بتعلم سنة، فإذاً بعض الناس يُحصِّلون العلوم بالتعلم وبعضهم بالتفكير، والتعلم يحتاج إلى التفكير، فإن الإنسان لا يقدر أن يتعلم جميع الأشياء: الجزئيات والكماليات وجميع المعلومات، بل يتعلم شيئاً ويستخرج بالتفكير من العلوم شيئاً، وأكثر العلوم النظرية والصنائع العملية استخرجها نفوس الحكماء بصفاء ذهنهم، وقوة فكرهم، وحثه حدسهم من غير زيادة تعلم وتحصيل، ولولا أن الإنسان يستخرج بالتفكير شيئاً، من معلومه الأول لكان يطول الأمر على الناس، ولما كانت تزول ظلمة الجهل عن القلوب، لأن النفس لا تقدر أن تتعلم جميع مهائنها الجزئية والكلية بالتعلم، بل بعضها بالتحصيل وبعضها بالنظر كما يرى عادات الناس، وبعضها يستخرج من ضميره بصفاء فكره، وعلى هذا جرت عادة العلماء وتمهدت قواعد العلوم. حتى أن المهندس لا يتعلم جميع ما يحتاج إليه في طول

عمره، بل يتعلم كليات علمه وموضوعاته، ثم بعد ذلك يستخرج ويقيس.

و كذلك الطبيب لا يقدر أن يتعلم جزئيات أدواء الأشخاص وأدويتهم بل يتفكر في معلوماته الكلية، ويعالج كل شخص بحسب مزاجه. وكذلك المنجم يتعلم كليات النجوم، ثم يتفكر ويحكم بالأحكام المختلفة. وكذلك الفقيه والأديب. وهكذا إلى بدائع الصنائع، فواحد وضع آلة الضرب وهو العود بتفكره، وآخر استخرج من تلك الآلة آلة أخرى؛ وكذلك جميع الصنائع البدنية والنفسانية أوائلها محصلة من التعلم والبواقي مستخرجة من التفكير، وإذا انفتح باب الفكر على النفس علمت كيفية طريق التفكير وكيفية الرجوع بالحدس إلى المطلوب، فيشرح قلبه وتفتح بصيرته، فيُخرج ما في نفسه من القوة إلى الفعل من غير زيادة طلب وطول تعب.

الطريق الثاني: وهو التعليم الرياني، على وجهين:

الأول: إلقاء الوحي: وهو أن النفس إذا كملت ذاتها يزول عنها دنس الطبيعة ودرن الحرص والأمل وينفصل نظرها عن شهوات الدنيا وينقطع نسبها عن الأمانى الفائثة. وتقبل بوجهها على بارئها ومنشئها، وتمسك بجود مبدعها، وتعتمد على إفادته وفيض نوره

والله تعالى بحسن عنايته يقبل على تلك النفس إقبالا كلياً وينظر إليها نظراً إلهياً ويتخذ منها لَوْحاً ومن النفس الكلي قلماً وينقش فيها جميع علومه، ويصير العقل الكلي كالعلم. والنفس القدسية كالمتعلم، فيحصل جميع العلوم لتلك النفس وينقش فيها جميع الصور من غير تعلم وتفكر، ومصادق هذا قوله تعالى لَنِيَّه وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ﴿النساء: ١١٣﴾ الآية. فعلم الأنبياء أشرف مرتبة من جميع علوم الخلائق لأن محصله عن الله تعالى بلا واسطة ووسيلة.

وبيان هذا يوجد في قصة آدم عليه السلام - والملائكة، فإنهم تعلموا طول عمرهم، وحصلوا بفنون الطرق كثيراً من العلوم حتى صاروا أعلم المخلوقات وأعرف الموجودات، وآدم عليه السلام ما كان عالماً لأنه ما تعلم وما رأى معلماً فتفاخرت الملائكة وتجبروا وتكبروا فقالوا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿البقرة: ٣٠﴾. ونعلم حقائق الأشياء، فرجع آدم عليه السلام إلى باب خالقه، وأخرج قلبه عن جملة المكنونات وأقبل بالاستعانة على الرب تعالى فعلمه جميع الأسماء: ﴿ثُمَّ عَرَّضْتَهُمْ عَلَى الْمَلَكِكَةِ﴾ ﴿البقرة: ٣١﴾. فقال: ﴿أَتَدْعُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿البقرة: ٣١﴾ فصغر حالهم عند آدم. وقل علمهم وانكسرت سفينة

جبروتهم ففرقوا في بحر العجز ﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ [البقرة: ١٢٢]. فقال تعالى: ﴿ قَالَ يَكَادُمُ أَنْبَتُهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٢٣]. فأنبأهم آدم عليه السلام عدّة مكنونات العلم ومستترات الأمر، فتقرر الأمر عند العقلاء أن العلم الغيبي المتولد عن الوحي أقوى وأكمل من العلوم المكتسبة، وصار علم الوحي إرث الأنبياء وحقّ الرسل، وأغلق الله باب الوحي من عهد سيدنا محمد ﷺ، وكان رسول الله ﷺ وخاتم النبيين، وكان أعلم الناس وأفصح العرب والعجم وكان يقول: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»<sup>(١)</sup>، وقال لقومه: «أنا أعلمكم وأخشاكم من الله تعالى»<sup>(٢)</sup>، وإنما كان علمه أكمل وأشرف وأقوى لأنه حصل عن التعلم الرباني، وما اشتغل قطّ بالتعلم والتعليم الإنساني. قال تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [النجم: ٥].

(١) قال الزركشي في اللآلئ المشورة في الأحاديث المشهورة ص ١٦٠، معناه صحيح أيضا لكنه لم يأت من طريق يصح، وقد ذكره ابن الجوزي في الأحاديث الواهية في ذيل حديث: «وقد بني نهدي» وضعفه فقال: هو حديث لا يصح في إسناده ضعفاء ومجهول. وعزاه السخاوي في المقاصد الحسنة للمعكري في الأمثال عن علي كرم الله وجهه، وضعفه أيضا.

(٢) أخرجه مسلم (١١١٠) عن عائشة رضي الله عنها، ولفظه «والله إن لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أنقى».

الوجه الثاني: هو الإلهام، والإلهام تنبيه النفس الكلية للنفس الجزئية الإنسانية على قدر صفاتها وقبولها وقوة استعدادها والإلهام أثر الوحي، فإن الوحي هو تصريح الأمر الغيبي، والإلهام هو تعريضه؛ والعلم الحاصل عن الوحي يسمى علماً نبوياً، والذي يحصل عن الإلهام يسمى علماً لدنياً.

والعلم اللدني: هو الذي لا واسطة في حصوله بين النفس وبين الباري، وإنما هو كالضوء من سراج الغيب يقع على قلب صافي فارغ لطيف، وذلك أن العلوم كلها حاصلة معلومة في جوهر النفس الكلية الأولى، الذي هو في الجواهر المفارقة الأولية المحضة بالنسبة إلى العقل الأول كنسبة حواء إلى آدم عليه السلام. وقد بين أن العقل الكلي أشرف وأكمل وأقوى وأقرب إلى الباري تعالى من النفس الكلية. والنفس الكلية أعز وألطف وأشرف من مائر المخلوقات، فمن إفاضة العقل الكلي يتولد الإلهام، ومن إشراق النفس الكلية يتولد الإلهام؛ فالوحي حلية الأنبياء والإلهام زينة الأولياء. فأما علم الوحي فكما أن النفس دون العقل فالولي دون النبي، فكذلك الإلهام دون الوحي، فهو ضعيف بنسبة الوحي: قوي بإضافة الرؤيا، والعلم علم الأنبياء والأولياء.

فأما علم الوحي: فخاض بالرسول موقوف عليهم، كما كان لآدم وموسى عليهما السلام وإبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم وغيرهم من الرسل، وفرق بين الرسالة والنبوة. فالنبوة قبول النفس القدسية حقائق المعلومات والمعقولات عن جوهر العقل الأول والرسالة تبليغ تلك المعلومات والمعقولات إلى المستفيدين والقابلين، وربما يتفق القبول لنفس من النفوس ولا يتأتى لها التبليغ لعذر من الأعذار وسبب من الأسباب.

والعلم اللدني يكون لأهل النبوة والولاية كما كان للخضر عليه السلام حيث أخبر الله تعالى عنه، فقال: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٥). وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: "أدخل رسول الله ﷺ في فمي فانفتح في قلبي ألف باب من العلم مع كل باب ألف باب، وقال: لو وضعت لي وسادة وجلست عليها لحكمت لأهل التوراة بتوراتهم ولأهل الإنجيل بإنجيلهم، ولأهل القرآن بقرآنهم." وهذه مرتبة لا تتال بمجرد التعلم الإنساني، بل يتحلى المرء بهذه المرتبة بقوة العلم اللدني، وقال أيضا - رضي الله

(١) في الأصل المطبوع: "أدخلت لساني في فمي"، والتصويب من مرآة العقول للمجلسي (٧٩/٣) "تقلا عن الرسالة اللدنية للغزالي".



عنه - يحكي عن عهد موسى عليه السلام إن شرح كتابه أربعون حملاً، فلو يأذن الله في شرح معاني الفاتحة لأشرع فيها حتى تبلغ مثل ذلك، يعني أربعين قرأ، وهذه الكثرة والسعة والانفتاح في العلم لا يكون إلا للنبيا إليها سبوايا.

فإذا أراد الله تعالى بعيد خيراً رفع الحجاب بين نفسه وبين النفس التي هي اللوح، فيظهر فيها أسرار بعض المكنونات وانتقش فيها معاني تلك المكنونات، فتعبر النفس عنها كما تشاء لمن يشاء من عباده. وحقيقة الحكمة تنال من العلم اللدني وما لم يبلغ الإنسان هذه المرتبة لا يكون حكيماً. لأن الحكمة من مواهب الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ٢٦٩). وذلك لأن الواصلين إلى مرتبة العلم اللدني مستغنون عن كثرة التحصيل وتعب التعليم فيتعلمون قليلاً ويعلمون كثيراً ويتعبون سيراً ويستريحون طويلاً.

واعلم أن الوحي إذا انقطع، وباب الرسالة إذا انسد استغنى الناس عن الرسل وإظهار الدعوة بعد تصحيح الحجة وتكميل الدين، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٣) وليس من الحكمة إظهار زيادة الفائدة من غير حاجة. فأما باب الإلهام فلا

ينسَدّ، ومدد نور النفس الكلية لا ينقطع لدوام ضرورة النفوس وحاجتها إلى تأكيد وتجديد وتذكير؛ وكما أن الناس استغنوا عن الرسالة والدعوة واحتاجوا إلى التذكير والتبشير لاستغراقهم في هذه الوسوس وانهماكهم في هذه الشهوات . فالله تعالى أغلق باب الوحي وهو آية العباد، وفتح باب الإلهام رحمةً وهياً الأمور ورتب المراتب ليعلموا أن الله لطيف بعباده يرزق من يشاء بغير حساب.



## فصل في مراتب النفوس في تحصيل العلوم

اعلم أن العلوم مركوزة في جميع النفوس الإنسانية وكلها قابلة لجميع العلوم وإنما يفوت نفساً من النفوس حظها منه بسبب طارئ وعارض يطرأ عليها من خارج، كما قال النبي ﷺ: «خلق الناس خُفَاءً فاجتالهم الشياطين»<sup>(١)</sup> وقال ﷺ: «كُلُّ مولود يولد على الفطرة...»<sup>(٢)</sup> الحديث فالنفس الناطقة الإنسانية أهل لإشراق النفس الكلية عليها ومستعدة لقبول الصور المعقولة عنها بقوة طهارتها الأصلية وصفاتها الأولى، ولكن يمرض بعضها في هذه الدنيا ويمتنع عن إدراك الحقائق بأمراض مختلفة وأعراض شتى، ويبقى بعضها على الصحة الأصلية بلا مرض وفساد. يقبل أبداً ما دامت حية؛ والنفوس الصحيحة هي النفوس النبوية القابلة للوحي والتأييد، القادرة على إظهار المعجزة والتصرف في عالم الكون والفساد. فإن تلك النفوس باقية على الصحة الأصلية، وما تغيّرت أمرجتها بفساد الأمراض

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) مطولاً عن عياض بن حمار - رضي الله عنه -.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٣)، ومسلم (٢٦٥٨) عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

وعلى الأعراض فصار الأنبياء أطباء النفوس ودعاة الخلق إلى صحة الفطرة.

وأما النفوس المريضة في هذه الدنيا الدنية فصارت على مراتب بعضهم تأثر بمرض المنزل تأثراً ضعيفاً. ودق غمام النسيان في خواطرهم فيشتغلون بالتعلم. ويطلبون الصحة الأصلية فيزول مرضهم بأدنى معالجة، ويتشع غمام نسيانهم بأقل تذكر. وبعضهم يتعلمون طول عمرهم ويشتغلون بالتعلم، ويطلبون الصحة الأصلية فيزول مرضهم بأدنى معالجة ويتشع غمام نسيانهم بأقل تذكر، وبعضهم يتعلمون طول عمرهم، ويشتغلون بالتحصيل والتصحيح جميع أيامهم، ولا يفهمون شيئاً لفساد أمزجتهم، لأن المزاج إذا فسد لا يقبل العلاج، وبعضهم يتذكرون وينسون ويرتاضون ويدلون أنفسهم ويجدون نوراً قليلاً وإشراقاً ضعيفاً، وهذا التفاوت إنما ظهر من إقبال النفوس على الدنيا واستغراقها بحسب قوتها وضعفها كالصحيح إذا مرض. والمريض إذا صحَّ وهذه العقلة إذا انحلت تُقرر النفوس بوجود العلم اللدني وتعلم أنها كانت عالمة في أول الفطرة وصافية في ابتداء الاختراع، وإنما جهلت لأنها مرضت بصحبة هذا الجسد الكثيف، والإقامة في هذا المنزل الكدر والمحل المظلم، وأنها لا تطلب بالتعلم إيجاد العلم المعلوم. ولا إبداع العقل المفقود، بل أعادتها العلم الأصلي الغريزي وإزالة طريان المرض بإقبالها على زينة

الجسد وتمهيد قاعدته ونظم أساسه، والأب المحب المشفق على ولده إذا أقبل على رعاية الولد، واشتغل بمهماته ينسى جميع الأمور ويكتفي بأمر واحد وهو أمر الولد، فالنفس لشدة شغفها وشفقتها أقبلت على هذا الهيكل، واشتغلت بعمارتها ورعايته والاهتمام بمصالحه، واستغرقت في بحر الطبيعة بسبب ضعفها وجزئيتها، فاحتاجت في أثناء العمر إلى التعلم طلباً لتذكّار ما قد نسيت وطمعاً في وجدان ما قد فقدت، وليس التعلم إلا رجوع النفس إلى جوهرها وإخراج ما في ضميرها إلى الفعل طلباً لتكميل ذاتها ونيل معادتها، وإذا كانت النفوس ضعيفة لا تهتدي إلى حقيقة جوهرتها تتمسك وتعتصم بمعلم مشفق عالم، وتستغيث به لعينها على طلب مرادها وأمورها، كالمرضى الذي يكون جاهلاً بمعالجته ويعلم أن الصحة الشريفة محمودة مطلوبة. فيرجع إلى طبيب مشفق، ويعرض حاله عليه. ويأوي إليه لمعالجته ويزيل عنه مرضه، وقد رأينا عالماً يعرض بمرض خاص كالرأس والصدر فتعرض نفسه عن جميع العلوم وينسى معلوماته وتلبس عليه، ويستتر في حافظته وذاكرته جميع ما حصل في سابق عمره وماضي أيامه. فإذا صحّ وعاد الشفاء إليه يزول النسيان عنه وترجع النفس إلى معلوماتها. فتذكر ما قد نسيت في أيام المرض. فعلمنا أن العلوم ما فنيت وإنما نُسيت وفرق بين المحو والنسيان بالناس. فإن المحو فناء النقوش والرسوم. والنسيان التباس النقوش،

فيكون كالغمام أو السحاب السائر لنور الشمس عن أبصار الناظرين، لا كالغروب الذي هو انتقال الشمس من فوق الأرض إلى أسفل. فاشتغال النفس بالتعلم هو إزالة المرض العارض عن جوهر النفس لتعود إلى ما علمت في أول الفطرة وعرفت في بدء الطهارة. فإذا عرفت السبب والمراد من التعلم وحقيقة النفس وجوهرها: فاعلم أن النفس المريضة تحتاج إلى التعلم وإنفاق العمر في تحصيل العلوم فأما النفس التي يخف مرضها وتكون علتها ضعيفة وشرها دقيقاً وغمامها رقيقاً ومزاجها صحيحاً، فلا تحتاج إلى زيادة تعلم وطول تعب بل يكفيها أدنى نظر وتفكير، لأنها ترجع به إلى أصلها، وتقبل على بدايتها وحقيقتها وتطلع على مخفياتها فيخرج ما فيها من القوة إلى الفعل، ويصير ما هو مركز في حلية لها، فيتم أمرها ويكمل شأنها، وتعلم أكثر الأشياء في أقل الأيام، وتعب عن المعلومات بحسن النظام، وتصير عالمة كاملة متكلمة تستضيء بإقبال على النفس الكلية وتفيض باستقبال على النفس الجزئية، وتتشبه من طريق العشق بالأصل وتقطع عرق الحسد وأصل الحقد وتعرض عن فضول الدنيا وزخارفها؛ وإذا وصلت إلى هذه المرتبة فقد علمت ونجت وفازت، فهنا هو المطلوب لجميع الناس.



## فصل في حقيقة العلم اللدني وأسباب حصوله

اعلم أن العلم اللدني وهو سريان نور الإلهام يكون بعد التسوية كما قال الله تعالى: ﴿وَقَسْرَ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ۝﴾ [الشس: ٧]. وهذا الرجوع يكون بثلاثة أوجه:

أحدها: تحصيل جميع العلوم وأخذ الحظ الأوفر من أكثرها.

والثاني: الرياضة الصادقة والمراقبة الصحيحة، فإن النبي ﷺ أشار إلى هذه الحقيقة، فقال: «من عَمِلَ بِهَا عُلِّمَ أَوْثَرَهُ اللهَ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمُ»<sup>(١)</sup>. وقال ﷺ: «من أخلص لله أربعين صباحاً أظهر الله تعالى يتابع الحكمة من قلبه على لسانه»<sup>(٢)</sup>.

- 
- (١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٥/١٠) عن أنس رضي الله عنه، وقال أبو نعيم رحمه الله: ذكر أحد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه وهذا الحديث لا يُجتمَل بهذا الإسناد عن أحد بن حنبل.
- (٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٨٩/٥) عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، والقضاعي في مستدرك الشهاب (٤٦٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن المبارك في الزهد (١٠٠٤) عن مكحول مرسلًا.

والثالث: التفكير، فإن النفس إذا تعلمت وارتاضت بالعلم ثم تفكر في معلوماتها بشروط الفكر يفتح عليها باب الغيب، كالتاجر الذي يتصرف في ماله بشرط التصرف يفتح عليه أبواب الربح، وإذا سلك طريق الخطأ يقع في مهالك الخسران، فالتفكير إذا سلك مسيل الصواب يصير من ذوي الأبواب، وتفتح روزنة<sup>(١)</sup> من عالم الغيب في قلبه، فيصير عالماً كاملاً عاقلاً ملهمًا مؤيداً، كما قال ﷺ: "تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة"<sup>(٢)</sup> وشرائط التفكير نحصيلها في رسالة أخرى، إذ بيان التفكير وكيفيته وحقيقته أمر مبهم يحتاج إلى زيادة شرح وتفسير بعون الله تعالى.

والآن نختم هذه الرسالة، فإن في هذه الكلمات كفاية لأهلها: ﴿وَمَنْ يُصَلِّ اللَّهَ تَعَالَى اللَّهُ لَهُ نُورًا فَالْمُتَّقِينَ نُورٌ﴾ [النور: ٤٠]. والله ولي المؤمنين وعليه التكلان، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وبه ثقني في كل آن وحين والحمد لله رب العالمين.



(١) أي نافذة، أصلها فارسي معرب.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٠٩/١)، وأحمد في الزهد (٧٥٤) عن أبي الدرداء رضي الله عنه - من قوله، ولفظه: "تفكر ساعة خير من قيام ليلة".



### الفهرس

|    |                                     |
|----|-------------------------------------|
| ٢  | ..... مقدمة المحقق                  |
| ٨  | ..... ترجمة المؤلف                  |
| ٨  | ..... اسمه ونسبه                    |
| ٨  | ..... مولده ونشأته                  |
| ١٠ | ..... طلبه للعلم                    |
| ١١ | ..... الغزالي والبحث عن الحقيقة     |
| ١٧ | ..... مؤلفاته                       |
| ١٨ | ..... نبذة من حججه وأقواله          |
| ١٩ | ..... ثناء العلم عليه               |
| ٢١ | ..... وفاته                         |
| ٢٤ | ..... مقدمة المؤلف                  |
| ٢٤ | ..... العلم اللدني                  |
| ٢٧ | ..... فصل في بيان شرف العلم         |
| ٣٠ | ..... فصل في شرح النفس والروح       |
| ٣٨ | ..... فصل في أصناف العلم وأقسامه    |
| ٣٨ | ..... القسم الأول، وهو العلم الشرعي |
| ٣٨ | ..... النوع الأول: علم الأصول       |
| ٣٨ | ..... علم التوحيد                   |

|    |  |
|----|--|
| ٣٩ | علم التفسير .....  |
| ٤٠ | علم الأخبار .....  |
| ٤٣ | النوع الثاني: علم الفروع: وهو علم الفقه بأقسامه .....          |
| ٤٤ | القسم الثاني: العلم العقلي وهو على مراتب .....                 |
| ٤٤ | المرتبة الأولى: العلم الرياضي والمنطقي .....                   |
| ٤٥ | المرتبة الثانية: العلم الطبيعي .....                           |
| ٤٥ | المرتبة الثالثة: وهي المرتبة العليا هي النظر في الموجود .....  |
| ٤٧ | فصل في العلم العقلي، ومنه علم الصوفية .....                    |
| ٤٨ | فصل في بيان طرق تحصيل العلوم .....                             |
| ٤٨ | الطريق الأول: وهو الطريق المعهود الذي يسلكه جميع العقلاء ..... |
| ٥٠ | الطريق الثاني: وهو التعليم الرباني، وهو على وجهين .....        |
| ٥٠ | الوجه الأول: إلقاء الوحي .....                                 |
| ٥٣ | الوجه الثاني: وهو الإلهام .....                                |
| ٥٧ | فصل في مراتب النفوس في تحصيل العلوم .....                      |
| ٦١ | فصل في حقيقة العلم اللدني وأسباب حصوله .....                   |